الفصل 1

الباب الأول : تعاريف ومفاهيم أساسية

تعريف الأسرة

مقدمة

مهام الأسرة ووظائفها

مراحل دورة حياة الأسرة والراشدين

أولاً- مراحل دورة حياة الأسرة

ثانياً- مراحل العلاقة في الزواج

ثالثاً - مراحل تطور مهام الأسرة

رابعاً- دورة حياة الفرد الراشد

خامساً- دورة الحياة الزوجية

أنواع الأسر: هناك أنواع من الأسر

أولاً- أنواع الأسر حسب العلاقة الزواجية والوالدية

ثانياً- أنواع الأسر وفق نظرية النظم والعلاج الأسري

ثالثاً- تصنيف الأسر وفق فعالية الوظائف الأسرية

رابعاً- تصنيف الأسر إلى مجموعات اكلينيكياً

المعتقدات حول صفات الأسر الفعالة وغير الفعالة

التوجهات المستقبلية لدراسة الكفاءة الأسرية

مقدمة

إن الأسرة هي الوحدة الأساسية في كل مجتمع منذ سيدنا آدم وستنا حواء وأبنائهم وبناتهم في أي مكان وأي زمان، ورغم الاختلافات الثقافية والاجتماعية والمعرفية والمكانية. إلا أن الأسرة تتكون من الرجال والنساء والأطفال الذين يتحدون بروابط وعلاقات القرابة المترابطة والواجبات المتبادلة. ويتوقع من الأسرة أن تحقق حاجات أفرادها الأساسية من طعام ولباس ضمن قدراتها لتحقق الانتماء إليها، وانتقال الثقافة والمعرفة والأخلاق والقيم الروحانية العقائدية والاجتماعية والاقتصادية من جيل إلى آخر.

وتقوم الأسرة بوظائفها منذ لحظة تكوينها لإشباع الحاجات الأساسية والتي يجب أن تتحقق من أجل البقاء واستمرار الوجود الإنساني. وهذه الحاجات تحقق تفاعل الأسرة، وتشمل وظائف الأسرة الأساسية إلى جميع أفراد الأسرة في أثناء دورة حياة الأسرة بأكملها. وتتمثل بالنشاطات اليومية التي تحافظ على وحدة الأسرة ومتابعة جميع أفراد الأسرة كمجموعة، بما في ذلك الأطفال في أي سن. حتى مع تغير هذه الوظائف مع مرور الوقت، وفي كل حقبة زمنية، ويحدث تغيير سواء أكان صغيراً أم كبيراً، مفاجئاً وعنيفاً أم تدريجياً. وقد تنتقل أنماط الأسرة كما هي أو تكون متغيرة.

ان نموذج الأسرة التقليدية النموذجية حالياً هو انها تتكون من أب يكسب قوت الأسرة، وزوجة هي ربة بيت وطفلين أو أكثر، وقد بدأت بالانتشار في جميع دول العالم، وهي تمثل 10% من المجتمع الأمريكي، وهناك نماذج أخرى من الأسر في العالم، الأب الأوحد، والزواج لمرة ثانية، أو الأسر البديلة. وأضاف بتيسون (Betson 1977)، نموذج ارتباط الأسرة بعلاقة القرابة للأفراد أي الأسرة الممتدة، والعلاقة بالجيران والمجتمع المحلي، والتي تؤدي إلى التغير في نمطها، لذا تتم رؤية الأسرة من خلال مختلف التوجهات، ويجب الانتباه إلى بناء الأسرة من حيث غاياتها ومواردها ودافعتيها وإمكاناتها. والسعي إلى النموذج الأسري الأفضل لتحسين أداء الأسرة لأدوارها. وتتكون الأسرة ببساطة من مجموع أفراد الأسرة. نحن نولد ونعيش منغمسين داخل الأسرة، كما أننا نشاهد وجودها في كل مكان، ومن ثم، فهي قريبة جدا لنا؛

"**الأسرة هي مجموعة طبيعية من غير الغرباء، ووحدة تفاعل بين أشخاص يعيشون معا، فالأسرة وحدة فيها الشخصيات تتغير وتتزايد مع دورة الحياة**".

يستخدم العاملون في القضايا الأسرية نمو وتطور الأسرة كجزء لا يتجزأ من عملهم لتحقيق ما يكفي من الموضوعية وأن يصبحوا على بينة وقادرين على وصف دورة حياة الأسرة وتحديد أدوار أعضائها. ورغم أن وجود الوحدة الفعلية للحياة الأسرية ليس مفهوماً قانونياً، ولا له عقد رسمي (مثل الزواج)، ووجوده يتم من خلال التفاعل بين أعضائها.

ان للأسرة كياناً بيولوجياً نفسياً اجتماعياً أساسياً والذي يعد بمثابة كيان نفسي واحد في العلاج الأسري. وتعد وحدة الأسرة الصغيرة نوعاً خاصاً من المجموعات الطبيعية التي تخضع لسلسلة من مراحل النمو. ونمو وتطور الوحدة متزامن مع تطور ونمو الأفراد داخل الأسرة. فكل فرد من أفراد الأسرة يمر في

وقت معين بمرحلة نمو فردية، وتسير الأسرة كمجموعة بمسار نمو وتطور خاص بها. وقد يتم فهم الأسرة من خلال اثنين أو أكثر من أعضائها. إن كل وحدة أسرة محددة منذ بدايتها إلى نهايتها سواء أكانت أسرة نووية أو أسرة كبيرة أو ممتدة، وتتصف بالاستمرارية في تاريخها وتقاليدها وممارساتها. وهذه الاستمرارية بدورها تعزز الأجيال الجديدة والوحدات الأسرية التي تنتمي لها. وهي ككل ليست وحدة ثابتة لا تتغير، بل هي دائمة التغيير والتطور وفق تسلسل منظم من التغييرات أو المراحل التي تحدث مع مرور الوقت، ويحدث التقدم والنمو في الخلايا والمجموعات المتمثلة بالأطفال والأسر والمؤسسات، وتندمج الأسرة في العمليات المجتمعية بشكل أكبر عند بداية تكوينها، ووسطها، وفي نهاية كل مرحلة من مراحلها. ومن أجل فهم الأسرة كوحدة واحدة يجب أن تكون الحدود النفسية واضحة لكل فرد من أفرادها.

ويستخدم النموذج النظري السائد لدورة الحياة الأسرية منذ مطلع القرن الحادي والعشرين بشكل متزايد للمساعدة في فهم تعقيدات التطور الطبيعي للأسرة، فضلا عن تأثير مجموعة من الظواهر الإكلينيكية على مدار دورة حياة الأسرة. فبعض جوانب الأسر معقدة؛ وبعضها الآخر أكثر بساطة مما قد يبدو للوهلة الأولى. وقد يقوم مراقب محايد بطمس حدود الأفراد داخل الأسرة وينظر إليها بوصفها كيانا موضوعيا ومفاهيميا. والأزواج الذين ولدوا قبل الستينات يعتقدون بأن الأسرة المثالية هي التي يكون فيها الزوج يكسب الرزق والزوجة ترعى البيت. إلا أن هناك أكثر من قوى مؤثرة في حياة الأسرة الحالية وتؤدي إلى سرعة طبيعة التغير الاجتماعي، فالتغيير مستمر وحقيقة واقعية في العالم اليوم بطرائق عديدة، منها:

اولاً- التطور على المستوى المحلي أو الدولة: والذي يتمثل بالتغير الاجتماعي والاقتصادي والبيئة الطبيعية لفتح مجالات وفرص جديدة، وإتاحة فرص التحدي أمام الأسر ووضع حدود جديدة بين أفرادها في الجيل الواحد أو عدة أجيال.

ثانياً- التطور الذي يحدث داخل الأسرة: ويتمثل في واجبات الأسرة وأدوار أعضائها، والعلاقات بين الأجيال لاعتمادهم الكلي على الراشدين، فالأطفال أول من يستفيدون أو يتضررون من التغيير الذي يحدث في الأسرة، فإن سعي المرأة لإثبات ذاتها وحريتها، والسرعة في التحضر، والتعرض للضغوط، والتقدم العلمي الدراسي.

ثالثاً- التغير في الأشخاص: فإن الأشخاص اليوم هم غير أشخاص الغد فالتقدم العلمي والتكنولوجيا عوامل تؤثر على هؤلاء الاشخاص وتجعل هناك فجوة بين الأجيال للأسرة الواحدة .

حتى بضع سنين مضت كانت الأسرة السائدة هي الأسرة ذات الزواج الأول؛ أي الزوج والزوجة مع أولادهم البيولوجيين، وكان هذا النموذج يعرض نفسه على شكل أسرة مثالية أفضل من غيره من أنواع الأسر؛ فقبل عام (1960) كانت دورة حياة الأسرة عبارة عن مرحلة طويلة من الزواج تبدأ بعمر

العشرينات، إذ كان يعتقد أن أفضل أسلوب لتحقيق أو إشباع حاجات الفرد هو الزواج، ومع أن هذا النمط ما زال إلا أن هناك أنماطاً أخرى من الأسر ذات وظائف جديدة ظهرت، منها نمط تعدد الزوجات والطلاق والزواج مرة أخرى، أو البقاء دون زواج مع الأبناء، بما يخلق أكثر من نمط أسري واحد، وأصبحت هذه الأنماط مالوفة. ومن الصعب تحديد أي منهما يؤدي إلى مشكلات انفعالية أوخوف من الالتزام. وهل تكرار الزواج سيؤدي إلى الاتفاق أو إلى فهم كل شريك ذاته، أو فهم الشريك الجديد. وقد يطلق الزوج دون أن يتعلم من تجربته السابقة، وقد لا يحقق حاجاته، وقد تظهر أنماط جديدة من الحياة الأسرية والزوجية، وتبقى المشكلة مع الشخص، فكثيرٌ منهم يحتاج إلى إرشاد وتوجيه عند الزواج أول مرة، أو عند الانفصال أو الطلاق أو عند الزواج لزوجة ثانية، أو اعادة الزواج بعد الطلاق الأول، أو بقاء الأب أو الأم مع الابناء للقيام برعاية الأسرة. إن اختلاف أنماط الأسرة في مختلف مجتمعات العالم، إذ إن الأسرة من حيث وظائفها وبنائها وأدوارها في حالة من عدم الاستقرار والتوازن. لذا، تظهر العديد من المشكلات داخل نطاق الأسرة وخارجها، والتغيرات السريعة التي أصابت الأسرة بشكل مباشر في بنائها وتحولها من الأسرة الممتدة إلى النواة من ناحية، وتغيرات بالأدوار والروابط الأسرية وظهور المعايير والاتجاهات الجديدة من ناحية أخرى

وفي الأردن مثلًا، تواجه الأسرة الأردنية - في عصرنا الحاضر – كثيراً من الضغوط والمشكلات العامة التي تؤثر في المجتمع، وهي بالتالي تؤثر في الأسرة، حيث يؤدي ذلك إلى إشاعة التوتر في علاقات أفرادها وضعف روابطهم واتجاهاتهم إزاء أنفسهم والآخرين، وغالبا ما يؤدي هذا التوتر إلى تعطل فاعلية الأسرة وتخرج عن خطها السوي في تحقيق أهدافها، ويؤدي إلى تفككها وانحلالها (الشناق، 2001). ولم تستطع الأسرة في هذه الحال تحقيق وظائفها، في الأسرة السليمة يتحمل أعضاؤها (الأزواج والأبناء) مسؤولية تحقيق التوافق، ويمكن تقسيم وظائفهم بينهم، فالزوجان يقدمان لبعضهما المساندة الاجتماعية والعاطفية والرفقة والعلاقة الجنسية، ويقدم الوالدان التغذية والرعاية والتوجيه للأبناء، ويتعلم الأطفال من إخوانهم وأخواتهم المشاركة والثقة والتفاوض على الأشياء وتنمية مهارات اجتماعية، ويقدم الأطفال لوالديهم الولاء والشعور بالمشكلات والحاجة لحلها، لأن نظام الأسرة معد حسب الوظائف وحسب ترتيب تسلسلي، وبأن الوالدين لهما موقع السلطة في رعاية الأبناء.

مهام الأسرة ووظائفها

ينظر إلى الأسرة على أنها لها دورٌ جوهري كمختبر تجريب للنمو الاجتماعي والنفسي والبيولوجي لأعضائها والمحافظة عليهم. وتتصف الأسرة السوية بالتنظيم والاستقرار، وطريقة واضحة في التواصل. إن مهمة الأسرة على مر الزمن هي إنجاب الأبناء ورعايتهم، والعمل على حمايتهم على رغم من التغير في نمط حياة الأسرة.

إن فهم دور الأسرة يتطلب دراسة الأطر الفردية والاجتماعية التي تتضمن دورة حياة الفرد، ودورة حياة الأسرة، ودورة الحياة الزوجية. إذ تختلف جماعة الأسرة أو الأزواج عن أي جماعة أخرى في النمو النفسي والتفاعل الاجتماعي وتحقيق أو اعتبار الذات. ففيها يشعر الفرد بأعظم حب وأكثر كراهية، ويتمتع برضا أكبر، ويمر بأكثر الخبرات المؤلمة والمخيبة للآمال، كما أنه يتأثر بامتداد الحياة الزوجية ونوع العلاقة بين الوالدين وبقية أفراد الأسرة. إن الحياة الأسرية والحياة الزوجية تسير في سياق تفاعلي، إذ يتم التحويل بين أفراد الأسرة، فإن ما يقوم به أي عضو في الأسرة يؤثر على كل أعضاء الأسرة، سواء حدث بينهم داخل الأسرة أم خارجها، وهذا يؤثر على نظام الأسرة ككل. لذا، يجب أن يكون هناك موقع ومهمة لكل فرد داخل الأسرة، وأن يعمل وفق أسس تضمن الاستقرار الأسري، ومراعاة حالة ديناميكية الأسرة؛ إذ إن أدوار أفراد الأسرة تسير في حلقة حاجات وتتطلب مساندة متبادلة، وتوقعات، واهتمامات، وخبرات مترابطة طويلة الأمد. وتعمل الأسرة دائما على إعادة التوازن في نظامها لتحقق الاستقرار، لذلك، إذا تعرض أحد أعضائها لظروف تؤثر على استقرار نظامها فإنها تقدم التغذية الراجعة لإعادة التوازن في النظام. وقد تضطر الأسرة إلى تغيير مواقف واستبدالها بمواقف جديدة، وهذا يحدث نقاط تحويل في دورة حياة الأسرة، مثال على ذلك: عمل الأم أو إصابة أحد أفراد الأسرة.

ولتحقيق هذه الوظيفة على الأسرة القيام بالمهام الآتية:

• **مشاركة كل الأعضاء بالمهام الأسرية:** يجب أن يكون كل عضو من أعضاء الأسرة فعالاً وحيوياً لتوفير الحاجات الجسمية الأساسية مثل الطعام والملبس والمسكن، وأن تكون العلاقة بين الوالدين ايجابية لتدريب الأطفال وتقديم التنشئة الاجتماعية لهم. وفي كل مرحلة من مراحل نمو الأسرة، هناك مؤشر للمهمة الأسرية الأساسية التي يجب إنجازها من قبل بعض أعضائها أو من قبل جميع الأعضاء، كما أن إنجاز المهمة يؤدي إلى نمو وتطور الأسرة وينقلها إلى مرحلة لاحقة، وأنه من المتوقع أن تواجه وحدة الأسرة التقدم أو التراجع في سياق دورة حياتها، وذلك بناء على إشباع حاجات أعضائها؛ إذ يعد إشباع الحاجات الأساسية أولوية. ويتأثر أعضاء الأسرة بالمستوى الاقتصادي، لذا يجب التأكد من إشباع الحاجات الأساسية لأفرادها، إذ كان النظام الأسري محاطاً بعيوب تتعلق بهذه الحاجات، كالفقر وعدم إشباع حاجاتها الأساسية لا يهمها النظر في أمور أخرى تتعلق بالنظام الأسري، وهمها إشباع حاجاتها، وتختلف حاجات الأسر غير الصحية وغير السعيدة، وهي حاجات غير متشابهة.

• **الرعاية والتربية والتنشئة الاجتماعية للأطفال:** قد نكون منحازين إذا ارجعنا شخصية الفرد إلى عوامل الوراثة فقط ، مع أن كثيراً من مزاج الفرد يرجع للوراثة ويظهر منذ الولادة؛ إلا أن العلاقة المتبادلة للطفل مع الأسرة ومع العالم الخارجي تؤثر في الحالة المزاجية للطفل، كما ان الثقافة والمجتمع لهما تأثير في تحديد انفعالات واتجاهات الطفل ومعرفته لكيفية الاستجابة والتفاعل مع الآخرين وفق معايير ثقافية تتقبلها الأسرة والجيرة ووسائل الإعلام. إن الإهمال أو الصدمة في عمر مبكر ينتج عنه تلف دائم

في أداء الدماغ، فالأطفال يتعلمون من آبائهم ما يقومون بأدائه، وانفعالاتهم تكتسب من خلال عملية التعلم والتعليم، والمهارات الوالدية الإيجابية ضرورية وتساعد على النمو السوي للطفل.

• **استخدام أساليب تربية ورعاية مناسبة لعمر الطفل**: على الوالدين معرفة قدرات أطفالهم في مختلف المراحل العمرية، فقد يتوقع الآباء من طفل عمره سنة الصبر وضبط النفس، أو تحديد سبب انفعال طفل عمره (3) ثلاث سنوات، وهذا يسبب الارتباك للطفل والوالدين، وهناك مطالب وحقوق وواجبات للطفل في كل مرحلة عمرية تختلف عن المرحلة السابقة أو المرحلة العمرية اللاحقة، ويتأثر الأبناء بأسلوب رعاية والديهم عندما يكونون في عمر المراهقة سلباً بسبب الرعاية الوالدية غير الإيجابية في الطفولة.

• **المحافظة على التحالف الوالدي والحدود بين الأجيال**، إنه من المفيد أن يعمل الوالدان والأطفال كفريق، رغم ان دور الكبار يختلف عن دور الصغار، كما أن الوالدين لا يمكن ان يوافقا على كل شيء للأبناء، وعلى الأبناء اتباع توجيهات واضحة في الرعاية الوالدية، وعلى الوالدين الاتفاق على التوجيهات، كما أن الأم التي ترعى أطفالها يجب أن تقوم بذلك بشكل جيد فهي نموذج حي لأطفالها، وهناك حاجة لدور كل من الأب / الأم للأبناء من الجنسين ليكونون نموذجاً يقلده ويتوحد معه، فالأطفال في حالة عدم توفرهم قد يقومون بإيجاد شخص آخر من الجيرة مثلا ليتوحد معه (Hetherington،1993).

• **التوجيه السليم للحياة الجنسية ومفهومي الذكورة والأنوثة**، أصبح واضحاً أن التوجيه في الحياة الجنسية ليس وظيفة ديناميكية للوالدين، إذ ان اضطراب الجنس لدى الأبناء قد يرجع إلى نواحٍ بيولوجية، وأن الآباء غير الأسوياء لا يمثلون نموذجاً سوياً للأبناء، وقد لا يكون هناك اتساق بين أبناء الآباء غير العاديين جنسيا، ولعدم وجود سلوك والدي متسق، إلا أنه ما زال الآباء يؤثرون على اتجاهات أبنائهم نحو الجنس، وتحديد السلوك المناسب لجنس الابن أو الابنة، وما يتوقعه من سلوك للجنس الآخر، مثلا الذي يعتز برجولته لا يهمه إن قام بالطبخ ولعب كرة القدم، وإنه ما زال على الآباء أن يعلموا ابنهم الذكر بأن يكون حنوناً ومتعاطفاً، رغم أن رجولته تتطلب الشدة والصلابة، وأن تكون الابنة قوية وتثق بذاتها، رغم أن العدوانية والتحكم بالمرأة ما زالت ترتبط بالذكور.

• **مساندة تحالف الإخوة**، هناك تشابه بسيط بين الإخوة، وهي ترجع إلى الجينات، وليس إلى الخبرات المشتركة، إذ إن كل طفل يدرك والديه والبيئة المحيطة به بطريقة مختلفة، فقد يطلب الوالدان من طفلين من أطفالهم الطلب نفسه لكن الاستجابة من كل طفل مختلفة عن الآخر. لذا فإن نظريات الإرشاد الأسري أكدت على أهمية دور الأخوة، وأن كل فرد له دورًا مهما في المحافظة على التوازن والاستقرار على نظام الأسرة، فالإخوة يعملون معا باستمرار خاصة في حالة الطلاق أو مرض أحد الوالدين وعدم القدرة للقيام بوظائفه. فإن الإخوة يكونون مصدر مساندة أو خفض التوتر، إذ إن علاقة الإخوة وهم أطفال تستمر حتى يصبحوا راشدين. لذا فإن الولاء بين الإخوة والتعلق والترابط مهم في تغيير أدوارهم ليساعدوا الأسرة في أدائها، وأن الأسرة الفاشلة في أداء واجباتها تفشل في تكوين علاقة جيدة بين